نشاط الحاج أمين من ١٩٢٢ وحتى ١٩٣٠، متناولاً دور المعارضة، وهبّة البراق. وتناول الباب الرابع حياة الحاج أمين ما بين ١٩٣١ و١٩٣٧، وتوجهه نحو العالم الاسلامي، ومواقفه من بيع الاراضي والهجرة اليهودية الى فلسطين، واعداده للجهاد، ودوره في الاضراب العام والثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩. ويستعرض الكتاب، في بابه الخامس، خروج المفتي من فلسطين سنة ١٩٣٧، متناولاً فترة نشاطه في لبنان، ثم في بغداد، وأخيراً لجوءه الى ايران؛ لينتقل، في الفصل السادس، الى تناول نشاط الحاج أمين في اوروبا ما بين ١٩٤١ و١٩٤٦، شارحاً الاسباب التي حملته الى دول المحور، مستعرضاً نشاطه في ألمانيا وايطاليا، ومن ثم اعتقاله في فرنسا. أما الباب السابع، فيتناول الحياة السياسية للمفتي، بعد عودته من اوروبا الى مصر، في الفترة الاولى ما بين ١٩٤٦ ـ ١٩٥٩، ثم نشاطه في لبنان ما بين ١٩٥٩ وحتى وفاته ١٩٧٤. وخصص المؤلف البابين، الثامن والتاسع، للتحدث عن نشاط المفتي في الاعداد للجهاد، متناولاً، من خلال ذلك، ما تعرض له المفتي من حملات. ويختتم الباب العاشر للكتاب بايراد العديد من آراء العلماء والمؤرخين، من أعداء المفتي ومؤيديه، اضافة الى قصيدتين للشاعرين، عبدالقدوس أبو صالح وعدنان النحوي.

منهج الكتاب

تدور أبواب الكتاب العشرة، في مجملها، حول محور واحد، هو شخصية المفتي ومزاياه، واستعراض نشاطاته، والتي يبدو جلياً، ومنذ استعراض بداياتها، تحيّز المؤلف الى شخصية المفتي، تحيزاً أدى، في بعض الحالات، الى اغفال بعض الحقائق، او قلبها رأساً على عقب؛ فالمؤلف يحاول اقناع القارىء بعدالة الحسيني وصحة حركته، الأمر الذي أخلّ بالجانب الموضوعي، في مواقع عدة، كان أبرزها استعراض المؤلف مسألة التنافس التقليدي على منصب رئاسة الافتاء، والمجلس الاسلامي الأعلى، وهي مسألة طال النقاش حولها سابقاً، ولا يخلو مؤلَّف تاريخي بارز من ذكرها، حتى باتت أمراً معروفاً بحيثياته كافة، وباتت لا تشكل مثلبةً في تاريخ المفتي، بقدر ما تشكل تفسيراً لدوافع السلطات الانتدابية في الابقاء على التنافس العائلي. فالمؤلف يأتي على ذكر هذا في الفصل الثالث من الكتاب، ويورد: «وبعد شهور عدة من عودة الحاج أمين الى القدس، توفى أخوه الشيخ كامل الحسيني العام ١٩٢١، فأصبح مركز الافتاء شاغراً. وكان على المسلمين ان ينتخبوا خلفاً له... ولم يكن احد ينازع آل الحسيني في هذا المنصب» (ص ٥٨)، هذا في وقت كان العديد من المنافسين، أبرزهم الشيخ أسعد الشقيري، والشيخ موسى البديري، والشيخ خليل الخالدي، والشيخ حسين جارالله. وأضاف المؤلف: «ولمّا جرت الانتخابات، فاز الحاج أمين فيها؛ ولكن الحكومة تلكأت في اعلان النتيجة، لأنها تكره ان يكون الحاج أمين مفتياً للقدس، فقامت المظاهرات من جديد في القدس والمدن الأخرى، تنادي حاج أمين ' يا مفتينا ' ». وأضاف أيضاً: «واشتدت المظاهرات في البلاد. وبعد أيام، وجد الحاكم ان لا مناص له من اصدار البراءة والاعتراف بنتائج الانتخابات الصحيحة... فأعدها وحملها الى المندوب السامي، فرفعها بوصفه وريث المتصرف والسلطة العثمانية. وهكذا أصبح الحاج أمين الحسيني ' صاحب السماحة مفتي القدس ' » (ص ٦٠). واعتمد الكاتب، في ما ذهب اليه، على ما ورد في كتاب اميل الغوري «فلسطين عبر ستين عاماً» (ص ٥٨). وهو الكتاب الوحيد الذي ينفرد بايراد هذه الواقعة وعلى هذا النحو، تحيزاً منه لشخصية المفتي، في وقت تورد الوثائق البريطانية والكتب المرجعية التاريخية المختلفة ان الفائز الاول كان الشيخ حسين جارالله، وان الحاج أمين كان ترتيبه الرابع في الانتخابات، وان تفضيل الانتداب الحاج أمين عن سواه يأتي في سياق الابقاء على التنافسات العائلية في فلسطين خدمة لمصالحه.

ويأتي في سياق انحياز الكاتب الواضح الى المفتي ما أورده المؤلف بشأن علاقته مع الشيخ عزالدين القسّام. وهي، كما هو معروف، قضية خلافية، طالما استغلها اعداء الحاج أمين للدلالة على تردده في بدء الجهاد، واسبقية القسام اليه.

ولا تزال مسألة القسام وعلاقته بالحاج أمين موضع خلاف، وذلك لندرة الوثائق الخاصة بحركته. وأكثر ما وصلنا عنها جاء من طريق الروايات الشفهية ممن عاصروا القسام، أو ممن عملوا في خلاياه العسكرية. أما